بسم اللہ الرحمن الرحیم

قصص النبيين

الجزء الأول

تأليف

ابو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

مجلس نشریات اسلام

۱۔ کے۔۳۰ ناظم آباد مینشن ۔ ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

قصص النبيين

الجزء الاول

تأليف

ابو الحسن علي الحسني الندوي

مجلس نشریات اسلام

۱-کے-۳ ناظم آباد مینشن ○ ناظم آباد ۱ ○ کراچی ۱۸

نام کتاب : ——— قصص النبیین (اوّل)
تالیف : ——— ابوالحسن علی الحسنی ندوی
طباعت : ———
ضخامت : ——— ۶۸ صفحات

فون ۶۶۰۱۸۱۷

اسٹاکسٹ : مکتبہ ندوۃ قاسم سینٹر اردو بازار کراچی۔

ناشر
فضل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام
۱۔کے ۳۔ ناظم آباد مینشن، ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

المقدمة

ابن [١] أخي العزيز !

أراك حريصاً على القصص والحكايات. وكذلك كل طفل في سنك. تسمع هذه القصص بكل رغبة، وتقرأها بكل رغبة، ولكنِّي أتأسّف لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السَّنانير والكلاب والأسد والذئاب والقِرَدة والذِباب، وعلينا العُهدة في ذلك، فذلك هو الذي تجده مطبوعاً.

---

(١) محمد بن الدكتور عبد العلي الحسني ابن أخ المؤلف، وقد نبغ بحمد الله في العربية، وهو رئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة في لكنو الهند.

وقد بدأتَ تتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والرسول ولغة الدين، ولك رغبة غريبة في درسها، ولكنّي أخجل أنك لا تجد ما يوافق سِنّك من القصص العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات.

فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم صلاة الله وسلامه) بأسلوب سهل يوافق سنك وذوقك، ففعلت. وهذا هو الكتاب الأوّل من «قصص النبيّين للأطفال» أهديه إليك.

وقد حاكيت فيه أسلوب الأطفال وطبيعتهم، فلجأت إلى تكرار الكلمات والجمل وسهولة الألفاظ وبسط القصة

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير أول

كتاب يقرأه الأطفال في اللغة العربية ويدرسونه في مدارسهم.

وسأتحفك إن شاء الله بقصص للأنبياء، ممتعة شائقة، واضحة سهلة، خفيفة جميلة، ثم لا يكون فيها شيء من الكذب.

أقرّ الله بك يا محمد عين أبويك وعمّك وعين الإسلام، وأعاد بك بركات آبائك على هذا البيت وعلى المسلمين...

علي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

من كسر الأصنام ؟

١ – بائع الأصنام

قَبْلَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ . كَثِيرَةٍ جِدّاً .
كانَ فِي قَرْيَةٍ رَجُلٌ مَشْهُورٌ جِدّاً .
وَكَانَ اسْمُ هٰذَا الرَّجُلِ آزَرَ .
وَكَانَ آزَرُ يَبِيعُ ٱلْأَصْنَامَ .
وَكَانَ فِي هٰذِهِ الْقَرْيَةِ بَيْتٌ كَبِيرٌ جِدّاً .
وَكَانَ فِي هٰذَا الْبَيْتِ أَصْنَامٌ ، أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً .
وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِهٰذِهِ الْأَصْنَامِ .

وَكَانَ آزَرُ يَسْجُدُ لِهٰذِهِ الْأَصْنَامِ.
وَكَانَ آزَرُ يَعْبُدُ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ.

٢ – ولد آزر

وَكَانَ آزَرُ لَهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ، رَشِيدٌ جِدّاً.
وَكَانَ اسْمُ هٰذَا الْوَلَدِ إِبْرَاهِيمَ.
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَرى النَّاسَ يَسْجُدُونَ لِلْأَصْنَامِ.
وَيَرَى النَّاسَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ.
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ.
وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ.
وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.
وَكَانَ يَرَى أَنَّ الذُّبابَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَصْنَامِ فَلاَ تَدْفَعُ
وَكَانَ يَرَى الْفأرَ يَأْكُلُ طَعَامَ الْأَصْنَامِ فَلَا تَمْنَعُ.
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: لِمَاذَا يَسْجُدُ النَّاسُ لِلْأَصْنَامِ؟

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: لِمَاذَا يَسْأَلُ النَّاسُ الْأَصْنَامَ؟

٣ – نصيحة إبراهيم

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِوَالِدِهِ:
يَا أَبِي، لِمَاذَا تَعْبُدُ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ؟
وَيَا أَبِي لِمَاذَا تَسْجُدُ لِهٰذِهِ الْأَصْنَامِ؟
وَيَا أَبِي لِمَاذَا تَسْأَلُ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ؟
إِنَّ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ!
وَإِنَّ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ!
وَلِأَيِّ شَيْءٍ تَضَعُ لَهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟
وَإِنَّ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ يَا أَبِي لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ!
وَكَانَ آزَرُ يَغْضَبُ وَلَا يَفْهَمُ.
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَغْضَبُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا أَكْسِرُ الْأَصْنَامَ إِذَا ذَهَبَ النَّاسُ،
وَحِينَئِذٍ يَفْهَمُ النَّاسُ.

٤ – إبراهيم يكسر الأصنام

وَجَاءَ يَوْمُ عِيدٍ فَفَرِحَ النَّاسُ.
وَخَرَجَ النَّاسُ لِلْعِيدِ وَخَرَجَ الْأَطْفَالُ
وَخَرَجَ وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: أَلاَ تَخْرُجُ مَعَنَا؟
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَنَا سَقِيمٌ!
وَذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ.
وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأَصْنَامِ، وَقَالَ لِلْأَصْنَامِ:
أَلاَ تَتَكَلَّمُونَ؟ أَلاَ تَسْمَعُونَ؟
هٰذَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ! أَلاَ تَأْكُلُونَ؟ أَلاَ تَشْرَبُونَ؟
وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ لاَ تَنْطِقُ.
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: (مَا لَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ).

وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ وَمَا نَطَقَتْ.
حِينَئذٍ غَضِبَ إبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْفَأْس.
وَضَرَبَ إبْرَاهِيمُ الْأَصْنَامَ بالْفَأْسِ وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ.
وَتَرَكَ إبْرَاهِيمُ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ وَعَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ

٥ — من فعل هذا ؟

وَرَجَعَ النَّاسُ ودَخَلُوا فِي بَيْتِ الْأَصْنَامِ.
وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَسْجدُوا لِلْأَصْنَامِ لِأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ.
وَلَكِنْ تَعَجَّبَ النَّاسُ وَدَهِشُوا.
وَتَأَسَّفَ النَّاسُ وَغَضِبُوا.
قَالُوا: (مَنْ فَعَلَ هٰذَا بآلِهَتِنَا) ؟
(قَالُوا: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ).
(قَالُوا: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بآلِهَتِنَا يَا إبْرَاهِيمُ)
(قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هٰذَا فَاسْئَلُوهُمْ إنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ).
وَكَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ.
وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الحِجَارَةَ لاَ تَسْمَعُ ولاَ تَنْطِقُ.
وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ أَيْضاً حَجَرٌ.
وأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ ويَتَحَرَّكَ.
وَأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكْسِرَ الْأَصْنَامَ.
فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَنْطِقُ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَإِنَّها
لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟.
وَكَيْفَ تَسْأَلُونَ الْأَصْنَامَ وَإِنَّها لَا تَنْطِقُ وَلَا تَسْمَعُ؟
أَلَا تَفْهَمُونَ شَيْئاً، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ؟.
وَسَكَتَ النَّاسُ وَخَجِلُوا!.

٦ – نارٌ باردة

اجْتَمَعَ النَّاسُ وَقَالوا: مَاذا نَفْعَلُ؟
إنَّ إِبْرَاهِيمَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ وَأَهَانَ الآلِهَةَ!
وَسَأَلَ النَّاسُ: مَا عِقَابُ إِبْرَاهِيمَ؟ مَا جَزَاءُ إِبْرَاهِيمَ؟
كانَ الْجَوابُ: «حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ».
وَهٰكَذَا كانَ: أَوْقَدُوا نَاراً وَأَلْقَوْا فِيهَا إِبْرَاهِيمَ.
وَلٰكِنَّ اللهَ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِلنَّارِ:
«يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ».
وَهٰكَذَا كانَ، كَانَتِ النَّارُ بَرْداً وسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ النَّارَ لَا تَضُرُّ إِبْرَاهِيمَ.
وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَسْرُورٌ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَالِمٌ
وَدَهِشَ النَّاسُ وَتَحيَّرُوا.

٧ – مَن رَبِّي

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إبْرَاهِيمُ كَوْكَباً ، فَقَالَ : هٰذَا رَبِّي .
وَلَمَّا غَابَ الكَوْكَبُ، قَالَ إبْرَاهِيمُ: لَا! هٰذَا لَيْسَ بِرَبِّي !
وَرَأَى إبْرَاهِيمُ الْقَمَرَ فَقَالَ : هٰذَا رَبِّي .
وَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ ، قَالَ إبْرَاهِيمُ : لَا ! هٰذَا لَيْسَ بِرَبِّي !
وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ إبْرَاهِيمُ: «هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ» .
وَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ فِي اللَّيْلِ قَالَ إبراهِيمُ: لَا! هٰذَا لَيْسَ بِرَبِّي .
إنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ .
إنَّ اللهَ باقٍ لَا يَغِيبُ .
إنَّ اللهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ .

وَالْكَوْكَبُ ضَعِيفٌ يَغْلِبُهُ الصُّبْحُ.
وَالْقَمَرُ ضَعِيفٌ تَغْلِبُهُ الشَّمْسُ.
وَالشَّمْسُ ضَعِيفَةٌ يَغْلِبُهَا اللَّيْلُ وَيَغْلِبُهَا الْغَيْمُ.
وَلَا يَنْصُرُنِي الْكَوْكَبُ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ.
وَلَا يَنْصُرُنِي الْقَمَرُ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ.
وَلَا تَنْصُرُنِي الشَّمْسُ لِأَنَّها ضَعِيفَةٌ.
وَيَنْصُرُنِي اللهُ.
لِأَنَّ اللهَ حَيٌّ لا يمُوتُ.
وباقٍ لاَ يَغِيبُ.
وَقَوِيٌّ لَا يَغلِبُهُ شَيْءٌ.

٨ – رَبِّيَ اللهُ

وَعَرَفَ إبراهيمُ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ.
لِأَنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يمُوتُ.

وَأَنَّ اللهَ باقٍ لَا يَغِيبُ .
وَأَنَّ اللهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ .
وَعَرَفَ إبراهِيمُ أَنَّ اللهَ رَبُّ الْكَوكَبِ !
وَأَنَّ اللهَ رَبُّ الْقَمَرِ !
وَأَنَّ اللهَ رَبُّ الشَّمْسِ !
وَأَنَّ اللهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ !
وَهَدَى اللهُ إبراهِيمَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا وَخَلِيلًا .
وَأَمَرَ اللهُ إبراهِيمَ ، أَنْ يَدْعُوَ قَوْمَهُ وَيَمْنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .

٩ – دعوةُ إبراهيمَ

وَدَعَا إبراهِيمُ قَوْمَهُ إِلَى اللهِ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
قَالَ إبراهِيمُ لِقَوْمِهِ : مَا تَعْبُدُونَ ؟
« قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً » .

قالَ إبراهيمُ :

« هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ » .

« أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ » .

« قَالُوا بلْ وَجَدْنَا آباءَنَا كذٰلِك يَفْعَلُونَ »

قالَ إبراهيمُ : فأَنَا لَا أَعْبُدُ هٰذِهِ الْأَصْنَامَ .

بَلْ أَنَا عَدُوٌّ لِهٰذِهِ الْأَصْنَامِ .

أَنَا أَعْبُدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

« الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين » .

« والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين » .

« وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين » .

« والَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين » .

وَإنّ الْأَصْنَامَ لَا تَخْلُقُ ولَا تَهْدِي .

وَإنَّهَا لاَ تُطْعِمُ أَحَداً وَلَا تَسْقِي .

وَإذَا مَرِضَ أَحَدٌ فَهِيَ لَا تَشْفِي .

وَإِنَّهَا لَا تُمِيتُ أَحَداً وَلَا تُحْيِي.

١٠ – أمام الملكِ

كانَ فِي المُدِينَةِ مَلِكٌ كَبِيرٌ جِداً، وَظَالِمٌ جِدًّا.

وكانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ.

وَسَمِعَ المَلِكُ أَنَّ إبْرَاهِيمَ يَسْجُدُ للهِ ولَا يَسْجُدُ لِأَحَدٍ

فغَضِبَ المَلِكُ وطَلَبَ إبْرَاهِيمَ.

وجَاءَ إبْرَاهِيمُ، وكَانَ إبْرَاهِيمُ لَا يخَافُ أحداً إلَّا الله

قَالَ المَلِكُ: مَنْ ربُّكَ يا إبْرَاهِيمُ؟

قَالَ إبْرَاهِيمُ: رَبِّيَ اللهُ!

قال المَلِكُ: مَنِ اللهُ يا إبْرَاهِيمُ؟

قَالَ إبْرَاهِيمُ: «الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ».

قَالَ المَلِكُ: «أنَا أُحيِي وأُمِيتُ».

ودَعَا المَلِكُ رَجُلًا وقَتَلَهُ.

ودَعَا رَجُلاً آخَرَ وتَرَكَهُ.

وقَالَ: أنا أُحيي وأُمِيتُ، قَتَلْتُ رَجُلاً وتركْتُ رَجُلاً
وكَانَ المَلِكُ بلِيداً جدّاً، وكَذَلِكَ كلُّ مُشْرِكٍ.
وأرادَ إبْراهِيمُ أنْ يَفْهَمَ المَلِكُ، ويَفْهَمَ قَوْمُه.
فقَالَ إبْراهِيمُ للمَلِكِ: «فَإِنَّ اللهَ يأتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ المَشْرِقِ فأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ».
فَتَحَيَّرَ المَلِكُ وَسَكَتَ.
وخَجِلَ المَلِكُ، ومَا وجَدَ جَواباً.

١١ – دعوةُ الوالد

وأرادَ إبراهيمُ أنْ يَدْعُوَ والدَهُ أيْضاً، فقَالَ لَهُ:
«يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ».
ولِمَ تَعْبُدُ ما لَا يَنْفَعُ ولَا يَضُرُّ.
«يا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ»!
يا أَبَتِ اعْبُدِ الرَّحْمٰنَ!

وغَضِبَ والِدُ إبراهيمَ، وقالَ: أنا أضرِبُكَ، فاتْرُكْني ولاَ تَقُلْ شَيْئاً.

وكَانَ إبراهيمُ حلِيماً، فقَالَ لِوالِدِهِ: «سَلامٌ عَلَيْكَ» وقَالَ لَهُ: أنَا أذْهَبُ مِنْ هُنَا وأدْعُو رَبِّي. وتَأَسَّفَ إبْرَاهيمُ جِدًّا، وأرادَ أنْ يَذْهَبَ إلَى بلَدٍ آخَرَ، ويَعْبُدَ رَبَّهُ، وَيَدْعُوَ النَّاسَ إلَى اللهِ.

١٢ - إلى مكة

وَغَضِبَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَغَضِبَ المَلِكُ وَغَضِبَ وَالِدُ اِبْرَاهِيمَ.

وَأَرَادَ اِبْرَاهِيمُ أَنْ يُسَافِرَ اِلَى بَلَدٍ آخَرَ ويَعْبُدَ فِيهِ اللهَ وَيَدْعُوَ النَّاسَ اِلَى اللهِ.

وَخرَجَ إِبْرَاهيمُ مِنْ بَلَدِهِ وَوَدَّعَ وَالِدَهُ.

وَقَصَدَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ هَاجَرُ.
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا عُشْبٌ وَلاَ شَجَرٌ.
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ وَلاَ نَهَرٌ.
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا حَيَوَانٌ وَلاَ بَشَرٌ.
وَوَصَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلٰى مَكَّةَ وَنَزَلَ فِيهَا.
وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَهُ هَاجَرَ وَوَلَدَهُ إِسْمٰعِيلَ
وَلَمَّا أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَتْ زَوْجُهُ هَاجَرُ
إِلٰى أَيْنَ يَا سَيِّدِي؟ أَتَتْرُكُنِي هُنَا؟
أَتَتْرُكُنِي وَلَيْسَ هُنَا مَاءٌ وَلاَ طَعَامٌ!
هَلْ أَمَرَكَ اللّٰهُ بِهٰذَا؟
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ!
قَالَتْ هَاجَرُ: إِذاً لاَ يُضِيعُنَا!

١٣ – بئر زمزم

وَعَطِشَ إِسْمٰعِيلُ مَرَّةً، وَأَرَادَتْ أُمُّهُ أَنْ تَسْقِيَهُ مَاءً

وَلٰكِن أَيْنَ الْمَاءُ؟ وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ ، وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا نَهَرٌ ! وَكَانَتْ هَاجِرُ تَطْلُبُ الْمَاءَ وَتَجْرِي مِنَ الصَّفَا إِلَى الْمَرْوَةِ ومِنَ الْمَرْوَةِ إِلَى الصَّفَا .

وَنَصَرَ اللهُ هَاجِرَ ونَصَرَ إِسْمٰعِيلَ فَخَلَقَ لَهُمَا مَاءً . وخَرَجَ الماءُ مِنَ الْأَرْضِ وَشَرِبَ إِسْمٰعِيلُ وشَرِبَتْ هَاجِرُ وَبَقِيَ الْماءُ فكَانَ بِئْرَ زَمْزَمَ ، فَبَارَكَ اللهُ فِي زَمْزَمَ وَهٰذِهِ هِيَ الْبِئْرُ الَّتِي يَشْرَبُ مِنْهَا النَّاسُ فِي الْحَجِّ وَيَأْتُونَ بِمَاءِ زَمْزَمَ إِلَى بَلَدِهِمْ .

هَلْ شَرِبْتَ مَاءَ زَمْزَمَ؟

١٤ – رؤيا إبراهيم

وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مُدَّةٍ .

ولَقِيَ إِسْمٰعِيلَ ولَقِيَ هَاجِرَ ، وفَرِحَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلَدِهِ

إسْمٰعِيلَ. وكَانَ إسْمٰعِيلُ ولَداً صَغِيراً، يَجْرِي وَيَلْعَبُ وَيَخْرُجُ مَعَ والِدِهِ.

وكَانَ إبْرَاهِيمُ يُحِبُّ إسْمٰعِيلَ جِدًّا.

وذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إبْرَاهِيمُ في الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ إسْمٰعِيلَ. وكَانَ إبْراهِيمُ نَبِيًّا صَادِقاً، وكَانَ مَنَامُهُ مَناماً صَادِقاً. وكَانَ إبْراهِيمُ خَلِيلَ اللهِ، فَأَرادَ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَهُ اللهُ في الْمَنَامِ.

وقَالَ إبْرَاهِيمُ لإسْمٰعِيلَ:

(إنِّي أَرَى في الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)

(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

وأَخَذَ إبْراهِيمُ إسْمٰعِيلَ مَعَهُ وأَخَذَ سِكِّيناً.

ولَمَّا بَلَغَ إبْراهِيمُ مِنًى، أَرادَ أَنْ يَذْبَحَ إسْمٰعِيلَ.

واضْطَجَعَ إسْمٰعِيلُ عَلَى الْأَرْضِ، وأَرَادَ إبْرَاهِيمُ

أَنْ يَذْبَحَ فَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حُلْقُومِ إِسْمٰعِيلَ.
وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى هَلْ يَفْعَلُ خَلِيلُهُ مَا بِأَمْرِهِ.
وَهَلْ يُحِبُّ اللّٰهَ أَكْثَرَ أَوْ يُحِبُّ ابْنَهُ أَكْثَرَ.
وَنَجَحَ إِبْرَاهِيمُ فِي الامْتِحَانِ.
فَأَرْسَلَ اللّٰهُ جِبْرِيلَ بِكَبْشٍ مِنَ الجَنَّةِ وَقَالَ اذْبَحْ هٰذَا وَلَا تَذْبَحْ اسْمٰعِيلَ.
وَأَحَبَّ اللّٰهُ عَمَلَ إِبْرَاهِيمَ، فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبْحِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى.
صَلَّى اللّٰهُ عَلَى إبراهيمَ الخَلِيلِ وَسَلَّمَ.
وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى ابْنِهِ إِسْمٰعِيلَ وَسَلَّمَ.

١٥ – الكعبة

وَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَعَادَ بَعْدَ ذٰلِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتاً لِلّٰهِ. وَكَانَتْ الْبُيُوتُ كَثِيرَةً وَمَا كَانَ بَيْتُ لِلّٰهِ يَعْبُدُونَ فِيهِ اللّٰهَ.

وَأَرَادَ إِسْمٰعِيلُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتاً لِلّٰهِ مَعَ وَالِدِهِ.

وَنقَلَ إبْرَاهِيمُ وَإِسْمٰعِيلُ الْحِجَارَةَ منَ الْجبَال.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ وَكَانَ إِسْمٰعِيلُ يَبْنِي الْكَعْبَة بِيَدِهِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَذْكُرُ اللّٰهَ وَيَدْعُو.

وَكَانَ إِسْمٰعِيلُ يَذْكُرُ اللّٰهَ وَيَدْعُو.

«رَبَّنَا تَقبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

وَتَقبَّلَ اللّٰهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمٰعِيلَ وَبَارَكَ فِي الْكَعْبَةِ

نَحْنُ نَتَوَجَّهُ إِلىٰ الْكَعْبَةِ فِي كلِّ صَلاَةٍ.

وَيُسَافِرُ الْمُسْلِمُونَ إِلىٰ الْكَعْبَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ.

وَيَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا.

بَارَكَ اللّٰهُ فِي الْكَعْبَةِ وَتقبَّلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمٰعِيلَ

صَلَّى اللّٰهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَسَلَّمَ.

صَلَّى اللّٰهُ عَلَى إِسْمٰعِيلَ وسَلَّمَ.

وصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

١٦ – بيت المقدس

وَكَانَ لإِبْراهِيمَ زَوْجٌ أُخرَى، اِسْمُهَا سَارَة.
وَكَانَ لإِبْراهِيمَ وَلَدٌ آخَرُ مِنْ سَارَةَ اسْمُهُ إِسْحٰقُ.
وسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي الشَّامِ، وسَكَنَ إِسْحٰقُ.
وَبَنى إِسْحٰقُ بَيْتاً لِلّٰهِ فِي الشَّامِ، كَمَا بَنَى أَبُوهُ وأَخُوهُ بَيْتاً لِلّٰهِ فِي مَكَّةَ.
وَهٰذَا الْمَسْجِدُ الَّذِي بَنَاهُ إِسْحٰقُ فِي الشَّامِ هُوَ بَيْتُ المَقْدِسِ.

وَهُوَ المَسْجِدُ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللّٰهُ حَوْلَهُ، وبَارَكَ اللّٰهُ فِي أَوْلاَدِ إِسْحٰقَ كَمَا بَارَكَ فِي أَوْلاَدِ إِسْمٰعِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءُ ومُلُوكٌ.
وكَانَ لإِسْحٰقَ ولَدٌ اسْمُهُ يَعْقُوبُ وكَانَ نَبِيًّا.

وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَداً، مِنْهُمْ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ.

وَيُوسفُ لَهُ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي الْقُرآن.

وإليكَ هٰذِهِ الْقِصَّةَ!

* * *

أحسن القصص

١ – رُؤْيا عَجِيبَةٌ

كَانَ يُوسُفُ وَلَداً صَغِيراً، وَكَانَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ أَخًا. وَكَانَ يُوسُفُ غُلاَماً جَمِيلاً، وَكَانَ يُوسُفُ غُلاَماً ذَكِيّاً. وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ.

ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجِيبَةً.

رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَسْجُدُ لَهُ.

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيراً ! وَمَا فَهِمَ هٰذِهِ الرُّؤْيَا كَيْفَ تَسْجُدُ الْكَوَاكِبُ والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ؟ ذَهَبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ إِلٰى أَبِيهِ يَعْقُوبَ وَحَكَىٰ لَهُ هٰذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةَ.

«قَالَ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ».

وكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ نَبِيًّا.
فَرِحَ يَعْقُوبُ بِهٰذِهِ الرُّؤْيَا كَثِيراً.
وَقَالَ بارَكَ اللّٰهُ لَك يَا يُوسُفُ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَأن.

هٰذِهِ الرُّؤْيَا بِشَارَةٌ بِعِلْمٍ وَنُبُوَّةٍ.
وَقَدْ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحٰقَ وَقَدْ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَى جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ.

وَإِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَيُنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ.
وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخاً كَبِيراً، وَكَانَ يَعرِفُ طَبَائِعَ النَّاسِ. وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغْلِبُ الشَّيْطَانُ، وَكَيْفَ يَلْعَبُ الشَّيْطَانُ بالإِنْسَانِ.

فَقَالَ يَا وَلَدي، لاَ تُخْبِرْ بِهٰذِهِ الرُّؤْيَا أَحَداً مِنْ إِخْوَتِكَ فَإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُوًّا.

٢ - حسد الإخوة

وَكَانَ يُوسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرُ مِنْ أُمِّهِ اسْمُهُ بِنْيَامِين.
وَكَانَ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُمَا حُبًّا شَدِيداً، وَكَانَ لاَ يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَداً.
وَكَانَ الإِخْوَةُ يَحْسُدُونَ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ وَيَغْضَبُونَ كانوا يَقُولونَ: لِماذَا يُحِبُّ أَبُونَا يوسُفَ وَبِنْيَامِينَ أَكْثَرَ؟.
وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسفَ وَبِنْيَامِينَ وَهُمَا صَغِيرَانِ ضَعِيفَانِ؟.
لِمَاذَا لاَ يُحِبُّنَا مِثْلَ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ نَحْنُ شُبَّانٌ أَقْوِيَاءُ، هٰذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ.

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَداً صَغِيراً، فَحَكَى الرُّؤْيَا لإِخْوَتِهِ وَغَضِبَ الْإِخْوَةُ جِدًّا لَمَّا سَمِعُوا الرُّؤْيَا وَاشْتَدَّ حَسَدُهُمْ.

وَاجْتَمَعَ الْإِخْوَةُ يَوْماً وَقَالُوا اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً بَعِيدَةً.

حِينَئِذٍ يكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا، وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ خَالِصاً.

قَالَ أَحَدُهُمْ: لاَ بَلْ أَلْقُوهُ فِي بِئْرٍ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذُهُ بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ.

وَوَافَقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْإِخْوَةِ.

٣ – وفد إلى يعقوب

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى هذا الرَّأْيِ جَاؤُوا إلى يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ يخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيراً، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الإِخْوَةَ يَحْسُدُونَهُ وَلاَ يُحِبُّونَهُ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ لاَ يُرْسِلُ يُوسفَ مَعَ الإِخوَةِ. وَكَانَ يُوسُفُ يَلْعَبُ مَعَ أَخيهِ وَلاَ يَذْهَبُ بَعِيداً. وَكَانَ الإِخْوَةُ يَعْرِفُونَ ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَى الشَّرِّ.

قَالُوا يَا أَبَانَا لِمَاذَا لاَ تُرْسِلُ مَعَنَا يُوسُفَ؟ مَاذَا تَخَافُ؟.
هُوَ أَخُونَا الْعَزِيزُ، وَأَخُونَا الصَّغِيرُ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ أَبٍ. وَالإِخْوَةُ دَائِماً يَلْعَبُونَ جَمِيعاً، فَلِمَاذَا لاَ نَذْهَبُ نَحْنُ وَنَلْعَبُ جَمِيعاً؟
«أَرْسِلْهُ مَعَنَا غداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».
وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخاً كَبِيراً، وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلاً حلِيماً. وكانَ يَعْقُوبُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ يوسفُ. وَكَانَ يَخَافُ عَلَى يوسُفَ كثِيراً.
فقالَ لِأَبنَائِهِ:

«أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ».
قالُوا: أَبَداً! كيفَ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ؟
وَكيفَ يَأْكُلُهُ، ونَحْنُ شُبَّانٌ أَقْوِيَاءُ؟
وَأَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسفَ.

٤ – إلى الغابة

وفَرِحَ الْإِخْوَةُ كَثِيراً لَمَّا أَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسفَ.
وَذَهَبُوا إِلَى غَابَةٍ وَأَلْقَوْا يُوسفَ فِي بِئْرٍ فِي الْغَابَةِ
وَلَمْ يَرْحَمُوا يُوسفَ الصَّغِيرَ، وَلَمْ يَرْحَمُوا يَعْقُوبَ
الشَّيْخَ الْكَبِيرَ.
وَكَانَ يُوسُفُ وَلَداً صَغِيراً، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيراً.
وكَانَتِ الْبِئْرُ عَمِيقَةً، وَكَانَتِ الْبِئْرُ مُظْلِمَةً.
وَكَانَ يوسفُ وَحِيداً.

وَلَكِنَّ اللّٰهَ بَشَّرَ يُوسفَ وَقَالَ لهُ: لاَ تَحْزَنْ وَلاَ تَخَفْ

إنّ اللّٰهَ مَعَكَ، وَسَيَكونُ لَكَ شأْنٌ.

سَيَحْضُرُ إلَيْكَ الْإِخْوَةُ وَتُخبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ.

وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَلْقَوْا يوسفَ فِي الْبئرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا:

ماذَا نَقُولُ لِأَبِينَا؟

قالَ بَعْضُهُمْ: كانَ أَبُونا يَقُولُ أَخافُ أَنْ يأْكُلَهُ الذِّئْبُ فَنَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ.

وَافقَ الْإِخْوَةُ عَلَى ذَلِكَ، وقَالُوا نَعَمْ نَقُولُ لَهُ يَا أَبَانَا قَدْ أكلَهُ الذئبُ.

قالَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ: وَلكِنْ مَا آيةُ ذلِكَ؟

قالُوا: آيةُ ذٰلِكَ الدَّمُ.

وأخذَ الْإِخْوَةُ كَبْشاً وَذَبحُوه.

وَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسفَ وَصَبَغُوهُ.
وفَرِحَ الْإِخْوَةُ جِداً : وقالوا الآن يُصَدِّقُ أَبُونَا.

٥ – أمام يعقوب

«وجَاءُوا أَبَاءهُم عِشَاءًا يَبْكُونَ».
«قالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وتركْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ».
«وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ» وَقَالُوا هٰذَا دَمُ يُوسفَ !
وَكَانَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ نَبِيًّا، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيراً.
وَكَانَ أَعْقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ.
وكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذِّئْبَ إِذَا أَكلَ إِنْسَانًا جَرَحَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ.
وكَانَ قميصُ يوسفَ سَالِمًا . وكانَ مَصْبُوغاً في الدَّمِ

فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمٌ كَذِبٌ، وَأَنَّ قِصَّةَ الذِّئْبِ قِصَّةٌ مَوْضُوعَةٌ.

فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: بَلْ هٰذِهِ قِصَّةٌ وَضَعْتُمُوهَا «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» وَحَزِنَ يَعْقُوبُ عَلَى يُوسُفَ حُزْنًا شَدِيداً وَلٰكِنَّهُ صَبَرَ صَبْراً جَمِيلاً.

٦ – يوسف في البئر

وَرَجَعَ الْإِخْوَةُ إِلَى الْبَيْتِ، وَتَرَكُوا يُوسُفَ فِي الْبِئْرِ وَأَكَلَ الْإِخْوَةُ الطَّعَامَ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ.

وَيُوسُفُ فِي الْبِئْرِ، وَلاَ فِرَاشَ وَلاَ طَعَامَ.

وَنَسِيَ الْإِخْوَانُ يُوسُفَ، وَنَامُوا.

وَمَا نَامَ يُوسُفُ، وَمَا نَسِيَ أَحَداً.

وَبَقِيَ يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسُفَ، وَبَقِيَ يُوسُفُ يَذْكُرُ يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يُوسُفُ فِي الْبِئْرِ، وَكَانَتِ الْبِئْرُ عَمِيقَةً.

وَكَانَتِ الْبِئْرُ في الْغَابَةِ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً.
وَكَانَ ذٰلِكَ فِي اللَّيْلِ، وكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا.

٧ – من البئر إلى القصر

وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هٰذِهِ الْغَابَةِ.
وَعَطِشُوا فِي الطَّرِيقِ، وَبَحَثُوا عَنْ بِئْرٍ.
وَرَأَوْا بِئْراً، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلاً لِيَأْتِيَ لَهُمْ بِالْمَاءِ.
جَاءَ الرجُلُ إِلَى الْبِئْرِ، وَأَدْلَى دَلْوَهُ.
وَنَزَعَ الدَّلْوَ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ!
وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلاَمٌ!

دَهِشَ الرَّجُلُ وَنَادَىٰ.
(يٰبُشْرَى هٰذَا غُلاَمٌ).
وَفَرِحَ النَّاسُ جِدًّا وَأَخْفَوْهُ.
وَوَصَلُوا إِلَى مِصْرَ، وَقَامُوا فِي السُّوق وَنَادَوْا:
مَنْ يَشْتَرِي هٰذَا الْغُلاَمَ؟ مَنْ يَشْتَرِي هٰذَا الْغُلاَمَ؟

اِشْتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفَ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ.
وَبَاعَهُ التُّجَّارُ وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ.
وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلَى قَصْرِهِ، وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ.
أَكْرِمِي يُوسُفَ، إِنَّهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ.

٨ – الوفاء والأمانة

وَرَاوَدَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يُوسُفَ عَلَى الْخِيَانَةِ.
وَلكِنَّ يُوسُفَ أَبَى، وَقَالَ: كَلاَّ!
أَنَا لاَ أَخُونُ سَيِّدِي، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي.
إِنِّي أَخَافُ اللهَ.
وَغَضِبَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَشَكَتْ إِلَى زَوْجِهَا.
وَعَرَفَ الْعَزِيزُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَاذِبَةٌ.
وَعَرَفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ.
فَقَالَ لِزَوْجِهِ (إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَطِئِينَ).

وَعُرِفَ يُوسُفُ في مِصْرَ بِجَمَالِهِ، وَإِذَا رَآهُ أَحَدٌ قالَ (مَا هٰذَا بَشَراً، اِنْ هٰذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ).
وَاشْتَدَّ غَضَبُ الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ لِيُوسُفَ:
إذَنْ تَذْهَبَ إلَى السِّجْنِ!
قالَ يُوسُفُ: (السِّجْنُ أحَبُّ إلَيَّ!).
وَبَعْدَ أيَّامٍ رَأى الْعَزِيزُ أنْ يُرْسِلَ يُوسُفَ إلَى السِّجْنِ.
وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ أنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ.
وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ.

٩ — موعظة السجن

وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ، وعَرَفَ أهْلُ السِّجْنِ جَمِيعاً أنَّ يُوسُفَ شَابٌ كَرِيمٌ.
وأنَّ يُوسُفَ عِنْدَهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ.

وَأَنَّ يُوسُفَ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ رَحِيمٌ.
وَأَحَبَّ أَهْلُ السِّجْنِ يُوسفَ وَأَكْرَمُوهُ.
وَفَرِحَ النَّاسُ بِيُوسفَ وَعَظَّمُوهُ.
وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ رَجُلاَنِ وَقَصَّا عَلَيْهِ رُؤْيَاهما
(وقالَ أحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً)
(وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تأْكُلُ الطّيْرُ مِنْهُ).

وَسَأَلاَ يُوسُفَ عَنْ التَّأْوِيلِ.
وَكَانَ يُوسفُ عَالِماً بِتأْوِيلِ الرُّؤْيَا.
وَكَانَ يُوسُفُ نَبيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.
وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبدُونَ غيْرَاللهِ.
وَوَضَعُوا أَرْبَاباً كَثِيرَةً مِن عِنْدِ أَنْفُسِهِم.
وَقَالُوا هٰذَا رَبُّ الْبَرِّ، وَهٰذَا رَبُّ الْبَحْرِ، وَهٰذَا رَبُّ الرِّزقِ ، وَهٰذَا رَبُّ الْمَطَر.

وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى كُلَّ ذٰلِكَ وَيَضْحَكُ.
وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ كُلَّ ذٰلِكَ وَيَبْكِي.
وَكَانَ يُوسُفُ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى اللّٰهِ.
وَقَدْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ فِي السِّجْنِ.
أَلاَ يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ المَوْعِظَةَ؟
أَلاَ يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ الرَّحْمَةَ؟
أَلَيْسَ أَهْلُ السِّجْنِ عِبَادَ اللّٰهِ؟
أَلَيْسَ أَهْلُ السِّجْنِ بَنِي آدَمَ؟
كَانَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ وَلٰكِنَّهُ كَانَ حُرًّا جَرِيئًا.
كَانَ يُوسُفُ فَقِيراً وَلٰكِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا.
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجْهَرُونَ بِالحَقِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجُودُونَ بِالخَيْرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

١٠ – حكمة يوسف

قَالَ يُوسفُ في نَفْسِهِ :

إنَّ الْحَاجَةَ سَاقَتْ الرَّجُلَيْنِ إليَّ.

وَإنَّ صَاحِبَ الحَاجَةِ يَلِينُ وَيَخْضَعُ.

وَإنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ.

فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئاً لَسَمِعَا وَسَمِعَ أهْلُ السِّجْنِ

وَلٰكِنَّ يُوسفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ.

بَلْ قَالَ لَهُمَا :

أَنَا أُخْبِرُكُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَبْلَ أنْ يأْتِيَكُمَا طَعَامُكُما.

فَجلَسَا وَاطْمَأنَّا.

ثمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ :

أنا عَالِمٌ بتَأوِيلِ الرُّؤْيَا، (ذٰلِكُما مِمَّا علّمَني رَبِّي)

فَفَرِحَا وَاطْمَأَنَّا.

وَهُنَا وَجَدَ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ فَبَدَأَ مَوْعِظَتَهُ.

١١ – موعظة التوحيد

قَالَ يُوسفُ (ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَني رَبِّي).

وَلَكِنَّ اللهَ لاَ يُؤتي عِلْمَهُ كُلَّ أحَدٍ.

إنَّ اللهَ لاَ يُؤْتي عِلْمَهُ الْمُشْرِكَ.

هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلَّمَني رَبِّي؟

لِأَنِّي تَرَكْتُ طَرِيقَ أهْلِ الشِّرْكِ.

(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائي إبْرَاهِيمَ وَإسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ).

(مَا كانَ لَنا أنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيءٍ).

قَالَ يُوسُفُ:

وَهٰذَا التَّوْحِيدُ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ.

بَلْ هُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعاً.

(ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ).

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا.

تَقُولُونَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

(ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

أَيْنَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

(أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ).

أُنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى السَّمَاءِ وَانْظُروا إِلَى الْإِنْسَانِ.

(هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) وَكَيْفَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

(أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ).
الْحُكْمُ للهِ، الْمُلْكُ للهِ، الْأَرْضُ للهِ، الْأَمْرُ للهِ.

(لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ)
(ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ).
(وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).

١٢ – تأويل الرؤيا

وَلَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤيا قَالَ: (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً).
(وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ).
وَقَالَ لِلْأَوَّلِ (أُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ).
وَخَرَجَ الرَّجُلاَنِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ سَاقِياً لِلْمَلِكِ وَصُلِبَ الآخَرُ.

وَنَسِيَ السَّاقِي أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ عِنْدَ المَلِكِ.
وَأَقَامَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ سِنِينَ.

١٣ – رؤيا الملك

وَرَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيبَةً.
رَأَى فِي المَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ.
وَيَأْكُلُ هٰذِهِ الْبَقَرَاتِ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ.
وَرَأَى المَلِكُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ يابِسَاتٍ.
تَعَجَّبَ المِلِكُ مِنْ هٰذِهِ الرُّؤْيَا العَجِيبَةِ وَسَأَلَ جُلَسَاءَهُ عَنْ تَأْوِيلِ الرُّؤْيا.
قَالُوا: هٰذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، النَّائِمُ يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لاَ حَقِيقَةَ لَهَا.
وَلٰكِنْ قَالَ السَّاقِي: لاَ، بَلْ أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ

هٰذِهِ الرُّؤيَا.
وَذَهَبَ السَّاقِي إِلَى السِّجْنِ وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤيَا المَلِكِ.
كان يوسُفُ جَوَاداً كَرِيماً مُشْفِقًا عَلَى خَلْقِ اللّٰهِ فَأَخْبَرَهُ بِالتَّأْوِيلِ.
وَكانَ يُوسفُ جَوَادًا كَرِيماً لاَ يَعْرِفُ الْبُخْلَ.
فَأَخبَرَ يُوسفُ بِالتَّأوِيلِ وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ، وَآتْرُكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تأكُلُونَ.
وَيَكُونُ بَعْدَ ذٰلِكَ قَحْطٌ عَامٌّ تَأكُلونَ فِيهِ مَا خزَنْتمْ إِلاَّ قَلِيلاً.
وَيَطُولُ هذَا الْقَحْطُ إِلَى سَبعِ سِنِينَ.
وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَأْتِي النَّصْرُ وَيُخْصِبُ النَّاسُ.
وَذَهبَ السَّاقِي وَأَخْبَرَ المْلِكَ بِتَأْوِيلِ رُؤْياهُ.

١٤ – الملك يرسل إلى يوسف

وَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ هٰذَا التَّأْوِيلَ والتَّدْبِيرَ فَرِحَ جِدًّا ، وَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هٰذَا التَّأْوِيلِ ؟

وَقَالَ المَلِكُ : مَنْ هٰذَا الرَّجُلُ الكَرِيمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ ؟.

قَالَ السَّاقِي : هٰذَا يُوسفُ الصِّدِّيقُ وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًا لِسَيِّدِي المَلِكِ.

وَاشْتَاقَ المَلِكُ إِلَى لِقَاءِ يُوسفَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى يُوسفَ وَقَالَ المَلِكُ (ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي).

١٥ – يوسف يسأل التفتيش

وَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسفَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ المَلِكَ يَدْعُوكَ !

مَا رَضِيَ يُوسفُ أنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ هٰكذَا.
وَيقُولُ النَّاسُ هٰذَا يُوسُفُ! هٰذَا كَانَ أمْسِ فِي السِّجْنِ، إِنَّهُ خَانَ الْعَزِيزَ.
إنَّ يُوسفَ كانَ كَبِيرَ النَّفْسِ أَبِيًّا، إِنَّ يُوسفَ كَانَ كَبيرَ الْعَقْلِ ذَكِيًّا.

لَوْ كانَ أَحَدٌ مَكانَ يُوسفَ فِي السِّجْنِ وَجَاءَهُ رَسُولُ المَلِكِ.
وَقالَ لَهُ رَسُولُ المَلِكِ إنَّ المَلِكَ يَدْعُوكَ وَيَنْتَظِرُكَ لَأَسْرَعَ هٰذَا الرَّجُلُ إِلَى بَابِ السِّجْنِ وَخَرَجَ.
وَلٰكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يُسْرِعْ.
وَلٰكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ.
بَلْ قَالَ لِرَسُولِ المَلِكِ: أَنَا أُرِيدُ التَّفْتِيشَ أَنَا أُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتِي.
وسَأَلَ المَلِكُ عَنْ يُوسُفَ وَعَلِمَ المَلِكُ وَعَلِمَ النَّاسُ

أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ.
وَخَرَجَ يُوسُفُ بَرِيئاً وَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ.

١٦ – على خزائن الأرض

وَكَانَ يوسفُ يَعْلمُ أنَّ الْأَمَانةَ قَلِيلَةٌ في النَّاسِ.
وَكانَ يُوسفُ يَعْلَمُ أنّ الخِيانَةَ كَثِيرَةٌ في النَّاسِ.
وكَانَ يُوسُفُ يَرَى أَنَّ النَّاسَ يَخُونُونَ في أَمْوَالِ اللّٰهِ.
وَكَانَ يَرَىٰ أنّ في الْأَرْضِ خَزَائِنَ كَثِيرَةً ولٰكنَّها ضَائِعَةٌ.
إنّهَا ضَائِعَةٌ لِأَنَّ الْأُمَراءَ[1] لاَ يَخَافُونَ اللّٰهَ فِيهَا.
فَتَأْكُلُ كِلاَبُهُمْ وَلاَ يَجِدُ النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ.
وَتَلْبَسُ بُيُوتُهُمْ وَلاَ يَجِدُ النَّاسُ مَا يَلْبَسُونَ.

---

(١) الولاة وأصحاب الأمر

وَلا يَنْفَعُ النّاسَ بِخزَائِنِ الْأَرْضِ إلاّ مَنْ كَانَ حَفِيظاً عَلِيماً.

ومَنْ كانَ حَفِيظاً وَمَا كَانَ عَلِيماً لاَ يَعْلَمُ أيْنَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وكَيْفَ يَنْتَفِعُ بِهَا.

وَمَنْ كانَ عَلِيماً وَمَا كانَ حَفِيظاً يَأْكُلُ مِنْها وَيَخُونُ فِيهَا.

وَكانَ يُوسُفُ حَفِيظاً عَلِيماً.

وَكَانَ يُوسُفُ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَتْرُكَ الْأُمَرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ.

وَكَانَ يُوسُفُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجُوعُونَ وَيَمُوتُونَ.

وَكانَ يُوسفُ لاَ يَسْتَحي مِنَ الحَقِّ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ.

(اِجْعَلْني عَلَى خزَائِنِ الْأَرضِ إنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ).

وَهٰكَذَا كَانَ يُوسُفُ أَمِيناً لِخَزَائِنِ مِصْرَ.
وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ جِدًّا وَحَمِدُوا اللّٰهَ.

١٧ – جاء إخوة يوسف

وَكَانَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يُوسُفُ.
وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ
رَجُلاً رَحِيماً. وَأَنَّ فِي مِصْرَ جَوَاداً كَرِيماً، وَهُوَ
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ.
وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ الطَّعَامَ (١).
وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ بِالْمَالِ لِيَأْتُوا
بِالطَّعَامِ
وَبَقِيَ بِنْيَامِينُ عِنْدَ وَالِدِهِ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ

(١) الحبوب

جِدًّا. وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ.

وَتَوَجَّهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى يُوسُفَ وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ أَخُوهُمْ يُوسُفُ.

وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ فِي الْبِئْرِ.

وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ.

وَكَيْفَ لاَ يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي الْبِئْرِ.

كَانَ فِي الْبِئْرِ وَكَانَتْ الْبِئْرُ عَمِيقَةً.

وَكَانَتِ الْبِئْرُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً.

وَكَانَ ذٰلِكَ فِي اللَّيْلِ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِماً.

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)

كَانُوا مُنْكِرِينَ لِيُوسُفَ لاَ يَعْرِفُونَهُ، وَلٰكِنْ مَا أَنْكَرَهُمْ يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ.

عَرَفَ يُوسُفُ أَنَّ هٰؤُلاَءِ هُمْ الّذِينَ أَلْقَوْه في الْبِئْرِ.
وَأَنَّ هٰؤُلاَءِ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ قَتْلـهُ وَلَكِنَّ
اللهَ حَفِظَه .
وَلكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئاً وَلَمْ يَفْضَحْهُمْ.

١٨ – بين يوسف وإخوته

وَكَلَّمَهُمْ يُوسُفُ وَقَالَ لَهُمْ :
مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟
قَالُوا : مِنْ كَنْعَانَ !
قَالَ : مَنْ أَبُوكُمْ ؟
قَالُوا: يَعْقُوبُ بنُ إِسْحٰقَ بن إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمُ
الصَّلٰواتُ وَالسَّلاَمُ) .
قَالَ : هَلْ لَكُمْ أَخٌ آخَرُ ؟
قَالُوا : نَعَمْ لَنَا أَخٌ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ !

قَالَ : لِمَاذا مَا جَاءَ مَعَكُمْ ؟

قَالُوا : لِأَنَّ وَالِدَنَا لاَ يَتْرُكُهُ وَلاَ يُحِبُّ أَن يَبْعُدَ عَنْهُ

قَالَ : لِأَيِّ شَيْءٍ لاَ يَتْرُكُهُ هَلْ هُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًّا؟

قَالُوا: لاَ : وَلٰكِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يُوسُفُ،

ذَهَبَ مَعَنَا مَرَّةً، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ

عِنْدَ مَتاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ.

وَضَحِكَ يُوسُفُ في نَفْسِهِ وَلٰكِنْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا

وَاشْتَاقَ يُوسُفُ إِلَى أَخِيهِ بِنْيَامِينَ.

وَأَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً.

فَأَمَرَ لَهُمْ يُوسُفُ بِالطَّعَامِ.

وَقَالَ لَهُمْ: (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ).

وَلاَ تَجِدُونَ طَعَاماً إِذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ.

وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَالِهِمْ فَوُضِعَ في مَتَاعِهِمْ.

١٩ – بين يعقوب وأبنائه

وَرَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بالخَبَرِ وَقَالُوا لَهُ: أَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا، وَإِلاَّ لاَ نَجِدُ خَيْراً عِنْدَ الْعَزِيزِ.

وَطَلَبُوا مِنْ يَعْقُوبَ بِنْيَامِينَ وَقَالُوا: (إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

قَالَ يَعْقُوبُ: (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ).

هَلْ نَسِيتُمْ قِصَّةَ يُوسُفَ. أَتَحْفَظُونَ بِنْيَامِينَ كَمَا حَفِظْتُمْ يُوسُفَ.

(اللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

وَوَجَدُوا مَالَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ فَقَالُوا لأَبِيهِمْ: إِنَّ الْعَزِيزَ رَجُلٌ كَرِيمٌ، قَدْ رَدَّ مَالَنَا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا

أَرْسِلْ مَعَنَا بِنْيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيْضاً.

قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعَاهِدُوا

اللهَ أنَّكُمْ تَرْجِعُونَ بِهِ إلاَّ أنْ تُغْلَبُواعلى أمْرِكُمْ.
وَعَاهَدُوا اللهَ وَقَالَ يَعْقُوبُ: (اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)

وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: (يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ).

٢٠ – بنيامين عند يوسف

وَدَخَلَ الإِخْوَةُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كماَ أمَرَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَصَلُوا إلَى يُوسُفَ.
وَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بِنْيَامِينَ فَرِحَ جِدًّا وَأَنْزَلَهُ في بَيْتِهِ.
وَقَالَ يُوسُفُ لِبِنْيَامِينَ (إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) وَاطْمَأَنَّ بِنْيَامِينُ. وَلَقِيَ يُوسُفُ بِنْيَامِينَ بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ فَذَكَرَ أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَذَكَرَ بَيْتَهُ وَذَكَرَ صِغَرَهُ.
وَأَرَادَ يُوسُفُ أَنْ يَبْقَى عِنْدَهُ بِنْيَامِينُ يَرَاهُ كلَّ يَوْمٍ

وَيُكَلِّمُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ.

وَلٰكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلٰى ذٰلِكَ، وَبِنْيَامِين رَاجع غَداً إِلٰى كَنْعَانَ ؟

وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلٰى ذَلِكَ وَالْإِخْوَة عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَى أنْ يَرْجِعُوا بِهِ مَعَهُمْ؟.

وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِيُوسُفَ أَنْ يَحْبِسَ بِنْيَامِينَ عِنْدَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ؟

وَيَقُولُ النَّاسُ: قَدْ حَبَسَ الْعَزِيزُ عِنْدَهُ كَنْعَانِيًّا بِغَيْرِ سَبَبٍ، إِنَّ هٰذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَلٰكِنَّ يُوسُفَ كَانَ ذَكِيًّا عَاقِلاً.

كَانَ عِنْدَ يُوسُفَ إِنَاءٌ ثَمِينٌ، وَكَانَ يَشْرَبُ فِيهِ. وَضَعَ هٰذَا الإِنَاءَ فِي مَتَاعِ بِنْيَامِينَ وَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ.

وَالْتَفَتَ الْإِخْوَةُ، وَقَالُوا مَاذَا تَفْقِدُونَ؟

قَالُوا: نَفْقِدُ صُوَاعَ (إِنَاءَ) المَلِكِ ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ .
(قَالُوا تَا اللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) ! .
(قَالُوا فَمَا جَزَاءُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) ؟ .
(قَالُوا جَزَاءُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ! .

وَخَرَجَ الإِنَاءُ مِنْ مَتَاعِ بِنْيَامِينَ فَخَجِلَ الْإِخْوَةُ وَلٰكِنْ قَالُوا مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ :
إِنْ يَسْرِقْ (بِنْيَامِينُ) فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ (يُوسُفُ) مِنْ قَبْلُ. وَسَمِعَ يُوسُفُ هٰذَا الْبُهْتَانَ فَسَكَتَ وَلَمْ يَغْضَبْ وَكَانَ يُوسُفُ كَرِيماً حَلِيماً.
(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

(قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إنّا إذًا لَظَالِمُونَ).

وهَكَذَا بَقِيَ بِنْيَامِينُ عِنْدَ يُوسُفَ وَفَرِحَ الْأَخوَانِ جَمِيعاً.

إنَّ يُوسُفَ كَانَ وَحِيداً مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ لاَ يَرَى أَحَداً مِنْ أهْلِهِ.

وَقَدْ سَاقَ اللهُ إلَيْهِ بنْيَامِينَ أَفَلاَ يَحْبِسُهُ عِنْدَهُ يَرَاهُ وَيُكَلِّمُه. وَهَلْ مِنَ الظُّلْمِ أنْ يُقِيمَ أَخٌ عِنْدَ أخِيهِ. أبداً ! أبداً !.

٢١ – إلى يعقوب

وَتَحَيَّرَ الْإِخْوَةُ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَبِيهِمْ؟!

وَفكَّرَ الْإِخْوَةُ مَاذَا يَقُولُونَ لِأَبِيهِمْ؟!.

إنَّهُمْ فَجعُوهُ أمْسِ فِي يُوسُفَ، أفَيَفْجَعُونَهُ الْيَوْمَ فِي بِنْيَامِينَ!

أَمَّا كَبِيرُهُمْ فَأَبىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ يَعقُوبَ وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ :

(ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حٰفِظِينَ).

وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ الْقِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ للهِ يداً في ذٰلِكَ.

وَأَنَّ اللهَ مُمْتَحِنُه.

أَمْسِ فُجِعَ فِي يُوسُفَ وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بِنْيامِينَ إِنَّ اللهَ لاَ يَجْمَعُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَيْنِ ، إِنَّ اللهَ لاَ يَفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ.

إِنَّ اللهَ لاَ يَفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ كَيُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ.

إِنَّ للهِ فِي ذٰلِكَ يَداً خَفِيَّةً.

إِنَّ للهِ فِي ذٰلِكَ حِكْمَةً مَخْفِيَّةً.

إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ يَمْتَحِنُ عِبَادَه ثم يَسُرُّهُمْ وَيُنْعِمْ عَلَيْهِمْ

ثُمَّ إِنَّ الابْنَ الْكَبِيرَ بَقِيَ في مِصْرَ أَيْضاً وَأَبى أَنْ يَرْجِعَ إِلى كَنْعَانَ.

أَفَيُفْجَعُ في الثَّالِثِ أَيْضاً وَقَدْ فُجِعَ مِنْ قَبْلُ في اثْنَيْنِ.

إِنَّ هٰذَا لاَ يَكُونُ.

وَهُنَا اطْمَأَنَّ يَعْقُوبُ وقَالَ:

(عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

٢٢ – يظهر السر

وَلٰكِنَّ يَعْقُوبَ كَانَ بَشَراً في صَدْرِهِ قَلْبُ بَشَرٍ لاَ قِطْعَةُ حَجَرٍ.

فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَقَالَ: (يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ).

وَلاَمَهُ أَبْنَاؤُهُ وَقَالُوا إِنَّكَ لاَ تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ.

قَالَ يَعْقُوبُ: (إنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).

وَكانَ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ اليَأْسَ كُفْرٌ، وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ رَجَاءٌ كَبِيرٌ فِي اللهِ.

وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إلى مِصْرَ لِيَبْحَثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ وَيَجْتَهِدُوا فِي ذٰلِكَ.

وَمَنَعَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ أَنْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَذَهَبَ الإِخْوَةُ إلى مِصْرَ مَرَّةً ثَالِثَةً.

وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ وَشَكَوْا إلَيْهِ فَقْرَهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الْفَضْلَ.

وَهُنَا هَاجَ الْحُزْنُ وَالْحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ. أَبْنَاءُ أَبِي وَأَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ يَشْكُونَ فَقْرَهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ إلى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ.

إلى مَتَى أُخْفِي الأَمْرَ عَنْهُمْ وَإلى مَتَى أَرَى حَالَهُمْ

وَإلى مَتَى لاَ أَرَى أَبي ؟
لَمْ يَمْلِكْ يُوسُفُ نَفْسَهُ وقَالَ لَهُمْ .
(هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)
وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْلَمُونَ أَنَّ هٰذَا السِّرَّ لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا يُوسُفُ وَنَحْنُ .
فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوسُفُ .
سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ يُوسُفُ حَيٌّ ، أما مَاتَ في الْبِئْرِ .
يا سَلاَمُ ! هَلْ يُوسُفُ هُوَ عَزِيزُ مِصْرَ ؟
هُوَ الَّذِي عَلَى خزائِنِ الْأَرْضِ ؟
هُوَ الَّذي كانَ يَأْمُرُ لَنَا بالطَّعَام ؟
ومَا بَقِيَ عِنْدَهُم شَكٌّ أنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ هو يُوسفَ بْنُ يَعقُوبَ !
(قَالُوا ءَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ) .
قَال : (أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي ، قَدْ مَنَّ للهُ عَلَيْنَا

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)
(قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ)
وَمَا لاَمَهُمْ يُوسُفُ عَلَى فَعْلَتِهِمْ، بَلْ قَالَ :
(يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

٢٣ – يوسف يرسل إلى يعقوب

وَاشْتَاقَ يُوسف إلى لِقَاءِ يَعْقُوبَ، وَكَيْفَ لاَ يَشْتَاقُ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ .
وَلِماذَا يَصْبِرُ الآنَ وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ .
وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ الشَّرَابُ والطَّعَامُ وَأَبُوهُ لاَ يَطِيبُ لَهُ شَرَابٌ وَلاَ طَعَامٌ وَلاَ مَنَامٌ .
قَدْ انْكَشَفَ السِّرُّ، وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ، وقَدْ أَرَادَ اللهُ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُ يَعْقُوبَ .
وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَمِيَ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ

فَقَالَ يُوسُفُ :
(اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) .

٢٤ – يعقوب عند يوسف

وَلَمَّا سَارَ الرِّجَالُ بِقَمِيصِ يُوسُفَ إلى كَنْعَان، أَحَسَّ يَعْقُوبُ رَائِحَةَ يُوسُفَ، وَقَالَ : (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) .

(قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ) .
وَلٰكِنْ كَانَ يَعْقُوبُ صَادِقاً، (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ) .
(قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ)

(قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُم رَبِّي إنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إلى مِصْر اسْتَقْبَلَهُ يُوسفُ، وَلاَ تَسْأَلْ عَنْ فَرَحِهِمَا وَسُرُورِهِمَا .

وكَانَ يَوْماً مَشْهوداً في مِصْرَ وَكَانَ يَوْماً مُبَاركاً.

وَرَفَعَ يُوسُفُ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَوَقَعُوا كُلُّهُمْ سُجَّداً لِيُوسُفَ .

وقَالَ يُوسُفُ: (هٰذَا تَأويلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاً) .

(إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي سَاجِدِينَ) .

وَحَمِدَ يُوسُفُ اللّٰهَ حَمْداً طَيِّباً كَثِيراً .

وَشَكَرَ يُوسُفُ عَلَى ذٰلِكَ شُكْراً عَظِيماً .

وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَآلُ يَعْقُوبَ في مِصْرَ زَمَناً طَوِيلاً

وَمَاتَ يَعْقُوبُ وَزَوْجُهُ فِي مِصْرَ .

٢٥ – حسن العاقبة

وَلَمْ يَشْغَلْ يُوسُفَ هٰذَا الْمُلْكُ الْعَظِيمُ عَنْ اللهِ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَذْكُرُ اللهَ وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللهِ وَيُنَفِّذُ أَوَامِرَ اللهِ .

وَكَانَ يُوسُفُ لا يَرَى الْمُلْكَ كَثِيراً وَلا يَعُدُّهُ شَيْئاً كَبِيراً

وَكَانَ يُوسُفُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ مَلِكٍ وَيُحْشَرَ مَعَ الْمُلوكِ .

بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوتَ عَبْدٍ وَيُحْشَرَ مَعَ الصَّالِحِينَ .

وَكَانَ دُعَاءُ يُوسُفَ :

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الأَحَادِيثِ، فَاطِرَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْض أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) .

وَتَوَفَّاهُ اللّٰهُ مُسْلِماً وَأَلْحَقَهُ بِآبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ .